المقدمة

في هذا العصر المظلم ، والواقع المعتم ، والتطورات المخيفة ، والأحداث المهيبة ، والتوجهات المريبة ، تبدو الحاجة ملحة جداً للمسلم عموماً ، وللعلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله تعالى خصوصاً إلى دراسات جادة، وكتابات واعية ، وهتافات صادقة ، تجلي غشاوات الجهل ، وتنير ظلمات الفكر ، وترسم طرق النجاة ، في زمن ادلهمّت فيه الطرق ، وتعددت السبل ، واحلولكت الدروب . كتابات مؤصلة ، وتوصيات موثقة، وفتاوى محكمة ، يزول معها ظلام الشك ، وضباب الحيرة ، وغياية الرأي.

وإن من أهم ما تجب معرفته وضبطه ، واستلهامه وفهمه ، هو كيفية التعامل والتعايش بين الولاة والدعاة في شتى الأقطار ، ومن كل الأفكار .

إن بعض الناس قد يتصور أن الالتزام بالإسلام ، والتمسك بالدين يحتم التصادم مع الواقع ، والتنابذ مع الولاة ، والحرب مع كل مخالف ، وهذا هو العنت بعينه ، والمشقة ذاتها ، والحرج برمته ، وهي أعباء رفعها الله عنا ، ورحمنا منها . ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (١) ، ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾ (٢) ، فيقول الله تعالى : قد فعلت .

---

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

هذا الدين هو دين الرحمة واللطف ، والهداية والرفق ، والتيسير والسماحة ، وبإمكان المرء أن يتكيف مع كل ما حوله من الظروف ، وأن يؤدي شعائر الله ، ويقوم بما افترض الله عليه حسب طاقته ، وقدر استطاعته ، دون أن يتحمل ما لا طاقة له به ، ويكلف نفسه أكبر من وسعها .

وكذلك الدعوة إلى الله تعالى التي هي واجب كل مسلم يجب أن تمضي على الطريقة المحمدية ، والحكمة النبوية ، تراعي الواقع والقدرات والكفاءات وموازين القوى ، حتى تجني ثمارها ، وتقطف أزهارها ، وتسطع أنوارها ، بدلاً من أن يُكاد لها ، ويُتأمر عليها ، وتحارب في مهدها ، ويشرد حملتها ، ويمزق أتباعها ، وإن نظرة إلى مسيرة دعوته ﷺ وحكمته وبصيرته كفيلة بأن ترسم للدعاة السبيل الأقوم ، والسير الأسلم ، والمضي الأحكم .

إن سبر أغوار الشريعة ، ومعرفة أبعاد المسألة ، وفهم نصوص الكتاب والسنة ، وقراءة مناهج علماء السلف ، والوقوف على مواقفهم في هذه القضية ، لهو مطلب أهم ، ومقصد أجل ، لتحقيق مراد الشارع ، وصفاء المنهج ، ونشر الإسلام من جهة ، ولحقن دماء الأمة ، وحفظ أمانها وإيمانها، وصيانة أبنائها من جهة ، ولقطع الطريق على أعداء الإسلام وسدنة الكفر ورواد الرذيلة من جهة .

إن كثيراً من النوازل والنكبات التي حلت بأمة الإسلام سواء فيما بين أبنائها أو فيما بينها وبين غيرها يرجع إلى خلط الأمور ، وغبش التصور، وتهور الأفكار في هذه القضية البالغة الخطورة .

وإن تعثر مسيرة الدعوة ، وتأخر قافلة الشريعة في كثير من البلدان هو أيضاً نتيجة لعدم فهم روح الشريعة وأصول التعامل في هذه المسألة .

وإن من واجب العلماء وطلبة العلم من ذوي الحكمة والبصيرة أن يُجَلّوا هذه الأمور ويكشفوا مكنونها ، ويوضحوا غامضها ، ويشرحوا أبعادها ، وإن التهاون في ذلك هو تهاون بمصير الدين ، وبأرواح المسلمين، وبأمن الأوطان .

إن الغيرة ، والغضبة ، والحمية ، والإنكار ، والتمعّر لأجل الله تعالى كل ذلك صفات محمودة ، وسمات ممدوحة إذا كانت بضوابطها الشرعية، وحدودها الإيمانية ، أما إذا زادت عن ذلك ، وتخطت الحدود ، وجاوزت الحواجز ، وتفلتت من الأطر ، فإنها تصبح نقمةً وعذاباً ، وأسى ولوعة ﴿ **إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ** ﴾ (١) ، ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ (٢)، ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ (٣) ، ﴿ **فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ (٤) .

وإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، فمن تحلى بحلية العلم ، وتزين بزينة الفهم ، وتتوج بتاج العمل ، واستنار بنور الحكمة ، وضياء البصيرة ، وتضمخ بعطر الصدق والإخلاص ، فهو نعمة كبرى للأمة ، ومنحة عظمى للبشرية ، إنه شمس هداية تشرق على الدنيا فتنير الظلام ، وتنشر الدفء ، وتبعث الحياة ، وتمنح الثمار والأزهار غذاءها ورواءها .

---

(١) فاطر : ٢٣ .
(٢) النحل : ٨٢ .
(٣) الكهف : ٦ .
(٤) فاطر : ٨ .

وإن سماحة الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله – من أولئك العلماء النبلاء ، والفضلاء الأجلاء ، والدعاة الأوفياء ، قدّس الوحي ، وبجّل السنة ، واحترم الشريعة ، وعظّم رجال العلم ، وصدق علمه بعمله ، وقوله بفعله ، فأعلى الله مقامه ، ورفع صيته ، وأحسن منزلته ، وبث في القلوب محبته ، وأجمعت الأمة على إمامته .

نهل من أنهار الشريعة ، واستعطر بعبق السنة ، وتغلغل في أعماق النصوص ، فسار على منهاج النبوة ، واقتفى آثار الصحابة ، واقتدى بعلماء الأمة ، فكان أهلاً لأن يُبْرَز منهجه ، وتُوضح مسيرته ، وتُجلى حكمته وبصيرته ، وتُعرض مسيرته كعالم عامل ، وداعية صادق .

عاش هذا العصر بكل متغيراته ، واستطاع أن يتربع على عرش النجاح، ويتكئ على قمة المجد ، ومع أن هذه الرسالة جعلت من سماحة الشيخ رحمه الله أساساً لها وميداناً لفحواها ومرادها ، إلا أنه قد تجلى من خلالها وضوح المنهج ، وجلاء الطريق ، وروح الكتاب ، وحقيقة السنة ، وموقف علماء السلف الأجلاء عموماً .

فالعلاقة بين الولاة والدعاة ليست تبعاً للأهواء الشخصية ولا تحكمها المصالح الذاتية ، بل هي علاقة محكومة بالشريعة الإسلامية وأصولها العظيمة التي تكفلت بإسعاد البشرية .

وإنني أضع هذه الرسالة بين يدي أمة الإسلام لعل فيها ما يعين على تخطي الأزمات ، وتجاوز العقبات ، وراحة الضمير ، وطمأنينة القلب ، ونجاح المسيرة ، وانتشار الدعوة ، وزرع الألفة ، وبث المحبة ، وقبل ذلك كله رضوان المولى جل وعلا ، فباسمه نبدأ ، وعليه نتوكل ، فهو مولانا نعم المولى ونعم النصير .

تمهيد

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . . فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة .

فقيدُ العلم في الناس الفقيدُ ... وحاضره المغيَّب والشهيدُ
يموت المرء بينهم فَيُنسى ... ويعقبه التنكر والجحود
ويُقْبَض عَالمٌ فترى تراثاً ... تقلبه القرون وتستعيد
تراثَ نبوة وتراثَ علم ... وصاحبه هو الرجل الرشيد
هو الجبل الأشم يكون فيهم ... فتتزن الحياة ولاتميد
هو القبس الأتم يضيء فيهم ... فتنتظم المسيرة لاتحيد

العلم تركة الأنبياء ، وميراث الأصفياء ، وأهله هم ورثتهم ، وحملته أتباعهم ، وهو حياة القلوب ، ونور البصائر ، وشفاء الصدور ، ورياض العقول ، ولذَّةُ الأرواح ، وأنس المستوحشين ، ودليل المتحيِّرين ، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال . وهو الحاكم المفرِّق بين

الشك واليقين ، والغيّ والرشاد ، والهدى والضلال .

و إن ديننا الإسلامي دين العلم والتعليم ، والهداية والإرشاد ، والنور والبرهان ، ولذلك نرى أن انطلاقة الوحي ، وإطلالة النور ، ونزول القرآن إعلان لأهمية العلم ، وقيمة القلم ، وشأن القراءة ، فتهبط الآيات الأولى على قلب محمد ﷺ مستهلة بقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ ﴾ فلا أمية بعد اليوم ولا استسلام للجهل ، ولا ركون للظلام والضلال ، ﴿ اقْرَأْ ﴾ فإن هذا الدين عنوانه القراءة ، ودستوره القرآن ، وروحه العلم ، وآلته القلم ، وآفته الجهل ، ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[١] .

اقرأ تعالى الله قائلها فإذا الجبال الصم تبتهلُ
جبل ومنه تفجرت شهبٌ ولها بكل منارة شُعلُ

ويقسم الله تعالى بالقلم إعلاء لشأنه ، فالقلم هو طريق العلم والتعلم ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾[٢] .

هذا الدين يرفع شأن العلم وأهله ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾[٣] ، ويمقت الجهل وأهله ﴿ **فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾[٤] ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[٥] .

---

(١) سورة العلق ، الآية : ٥ .
(٢) سورة ن ، الآية : ٣ .
(٣) سورة المجادلة ، الآية : ١١ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٣٥ .
(٥) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

ويقصر معرفة الله حق المعرفة ، وخشية الله عين الخشية على العلماء ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[١] .

هذا الدين يدعو إلى العلم قبل العمل ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾[٢] .

وهذا إمام العلماء ، وسيد البلغاء والفصحاء ، وخاتم الأنبياء يدعو أمته إلى نور العلم ودوحة القراءة ، وميراث النبوة ، وينبوع الحكمة ، ونفض غبار الجهل ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾[٣] .

وها هو يملأ الأسماع والقلوب بأحاديثه العطرة التي يبين فيها أهمية العلم ، وبركة العلم ، ونور العلم ، ولا يسمح المجال هنا لبسط القول حول العلم وأهميته وأجر العالم والمتعلم ، ولكن نشنف الأسماع ، ونمتع ذوي الاطلاع ، بحديثين بين يدي كلامنا عن هذا الإمام من أئمة العلم ، قال ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[٤] .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٨ .
(٢) سورة محمد ، الآية : ١٩ .
(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .
(٤) أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »(١) .

ولقد عرف الصحابة – رضوان الله عليهم – وعرف التابعون لهم بإحسان منزلة العلم وأهميته ، وأن البشرية إذا جهلت وتركت العلم زاغت وضلت وتنكبت الصراط المستقيم ، فقاموا بواجب العلم والتعليم وحملوا إلى الأمة هدي الرسول ﷺ كاملاً مكملاً ، مجملاً ومفصلاً . وقد ضرب الصحابة والتابعون لهم بإحسان على مر العصور أروع الأمثلة في الحرص على طلب العلم ، والتفنن في صيانته وتنقيته وتعليمه للأجيال المؤمنة .

وممن تبع سلف الأمة في وراثة العلم ، ونشر الهدى ، وتفقيه الأمة ، سماحة العالم العظيم ، والشيخ العلامة الكريم عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله وغفر له ، وإن الشيخ وأمثاله من العلماء بمثلهم تستضيء البلدان ، ويُدعى إلى الإيمان ، ويُدل على الرحمن ، فهم في الأرض كالنجوم في السماء ، والدواء للداء ، والضياء في الظلماء ؛ فضلهم ظاهر، وسلطانهم قاهر ، ودليلهم باهر . يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يُحيون بكتاب الله تعالى الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من تائه هدوه. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، هم سُرُج الأزمنة ، فكل واحد منهم مصباح زمانه ، وسراج

---

(١) أخرجه البخاري .

ميدانه ، وهم أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم .

فالعلماء هم كنز الملة ، وحفّاظ السنة ، وحملة الشريعة ، وهم بعد الأنبياء ، لا يفضلهم أحد ، ولا يفوقهم بشر ، منزلتهم عظيمة ، ومرتبتهم كريمة ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[١] هم دعاة الرضا والهدى : « ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً »[٢] ، وهم أقرب الناس إلى درجة النبوة ، لأنهم يدلون الناس على ما جاءت به الرسل، وهم أرقى الناس منزلة عند الله تعالى لأن الواسطة بين الله تعالى وبين عباده في تبليغ الدين هم الرسل والعلماء ، ومن أراد النظر إلى مجالس الأنبياء ، فلينظر إلى مجالس العلماء ، وفضل العالم على العابد كفضل النبي ﷺ على أدنى أصحابه ، وذلك لأن العابد تابع للعالم متقيد به ، مقلد له في عبادته ، واجب عليه طاعته ولا عكس ، والعابد نفعه لنفسه ، أما العالم فنفعه للبشرية جمعاء .

ولحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب . فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى ، وصفوة الورى ، وعنوان الرضا ، وأولو الفكر والتقى ، صيتهم ذائع ، وتاريخهم رائع وقربهم ماتع ونهجهم ناصع . أرض لم تشرق فيها أنوارهم أرض مظلمة، وبلاد لم تكتحل برؤيتهم بلادٌ قاتمة ، وأوطان لم تعرف قدرهم أوطان خاسرة ، وأمة لم تصدر عن رأيهم أمة تائهة . وإن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

(٢) رواه مسلم .

ويثبت الجهل ، ويُشرَب الخمر ، ويظهر الزنا .

فالعلماء هم المبلغون عن الله وعن رسول الله ، وهم أمناء على الوحي ، حُفَّاظٌ للشرع ، حراس للنهج ، خدم للسنة ، صادقون مع الأمة ، ناصحون للبشرية ، مشفقون على الإنسانية . ينام الناس ملء أعينهم ، وهم يوقدون الشموع ، وينشرون الدموع ، وينطرحون بين يدي ربهم والناس هجوع ، يسألونه غفران الذنوب ، وصلاح الشعوب ، وصفاء القلوب . يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، يجعلون جزءاً من وقتهم وحظاً من ليلهم ، وقسطاً من دعائهم ، لأئمة المسلمين وعامتهم ، يدعون لهم بالصلاح ، ويرجون لهم النجاح ، يعلمون أن في صلاح الراعي صلاحاً للرعية .

وإن حياة أهل العلم حياة للأمة وبقاء لها ، وعزة لسلطانها ، ورفعة لشأنها وإعلاء لمكانها ، وقديماً قيل : حياة العالِم ، حياةُ العالَم .

وإن فقد العالم رزيه ، وموت الفقيه بلية ، وإذا رحل عن الدنيا عالم عامل فقد جرحت الأمة في القلب ، وكادت تصاب في المقتل .

قال ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[١] .

وممن فقدتهم أمة الإسلام في هذا الزمن الإمام الأجل ، والعالم الأمثل إمام أهل السنة ، وشيخ أنصار الحنيفية ؛ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

فاهتزت الأرض لفقده ، وذعرت أمة الإسلام لفراقه ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجمعنا به في جنات النعيم .

وإن مدارسة حياة أمثال هؤلاء العظماء ، وسبر أغوارهم ، وتأمل أحوالهم ، وتفحص أقوالهم ، والنظر في سيرهم ، وإحياء آثارهم ، وإظهار أخبارهم لهو من أفضل الأعمال ، وأجل القربات ، وأحسن الحسنات ، لكي تقف الأمة على جهود عظمائها وعلمائها من جهة ، ولكي يتأسى المتأسون ، ويمضي السائرون على دروبهم المنيرة ، وسيَرهم المضيئة ، فضلاً عن القيام بشيء من واجب الشكر ، والاعتراف بالفضل ، ورد الجميل إليهم ، إزاء ما بذلوه لأقوامهم ، وعملوه لأجيالهم ، وإن الشكر أجله ، والثناء أتمه ، يقدم من قلوب صادقة ، وأفئدة محبة ، وأنفس مُجلة لجامعة الملك خالد – رحمه الله – بأبها ، حيث حازت قصب السبق ، ونالت قدم الصدق ، في القيام بشيء من واجب الإمام ، والمسارعة لنيل ذلك الوسام ، فهي خطوة مشكورة ، وبادرة مأجورة ، أجزل الله لأربابها العطاء ، وجزاهم أفضل الجزاء .

إن أمة الإسلام اليوم وهي تعيش مرحلة من أشق مراحلها ، وتمر برحلة من أعتى رحلات تاريخها لهي بأمس الحاجة إلى الوقوف ملياً ، والمكوث طويلاً ، وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه ، مع تراث أهل العلم الحكماء ، وذوي الفقه النبلاء ، الذين عايشوا واقعها ، ومازجوا آمالها وآلامها ، وأسهموا في حسن قيادها ، والأخذ بزمامها ، إلى شواطىء الأمان ، ومراتع الإحسان ، كأمثال شيخنا – رحمه الله – .

تهتز من لفظه المعسول أنفسنا ... فيضاً من العلم سلسالاً لمرتشف
ماذا يجلي بياني من روائعه ... لو صغتُه في مئات الكُتْبِ والصحف

اختاره الواحد الخلاق في زمن تعيش منه البرايا في شفا جُرُف
سُلواننا يا إمام العصر في نُخَبٍ وذائبٍ من سلاف القول مُرْتَشَفِ

وإن العمر المديد المبارك الذي عاشه سماحة الشيخ – رحمه الله – لهو أنهار متدفقة من العطاء ، وبحور زاخرة بالعبر ، وأمواج هادرة بالعمل ، وسماء هامية بالبذل.

إن في منهاجه القويم ، وعطائه العظيم ، وسيره الحكيم ، دروساً رائقة، ومواقفَ عابقة ، وروائعَ فائقة ، حريٌّ بأرباب العلم ، وحملة المعرفة أن يقتبسوا من نورها ، ويتضمخوا من عبقها ، ويستروحوا من عبيرها .

وإن من أهم الموضوعات في حياة الشيخ ، ومن أولاها عنايةً ، وأجدرها دراسة ، منهج الشيخ في التعاون والتعامل مع ولاة الأمور والعاملين للإسلام ، وجهوده في توحيد كلمتهم ، وذلك من أعظم معالم النجاح والتفوق والتألق في حياة شيخنا – رحمه الله – أن يكون المرء عالماً أو زاهداً أو فقيهاً أو عابداً ، فإن ذلك أمر يحسنه كثير من الناس ويتقنه أعداد من البشر ، ولكن ذلك النجاح الباهر ، والانسجام العاطر ، والسجل الآسر ، والتوازن الناضر ، لا يحسنه إلا الأفذاذ من الرجال ، ولم يصل إليه على مر التاريخ إلا القلائل من العظماء فكيف إذا اجتمعت معه كل سمات الفضل ، وعلامات النبل ، ودلائل الفلاح ، وسمات النجاح الأخرى ، لقد وقفت أمام هذا العالم الأجل مشدوهاً مبهوراً متحيراً كما هو الحال لكل من يقف على حقائق فضله ، ودقائق نبله فخاطبته قائلاً :

بحر من العلم أم صرح من الهمم أم قمة ترتقي عن عالي القمم

فـرد من الجـيل أم جـيل بمفـرده ... فيض من الجود أم غيثٌ من الكرم
شمس على هامة الأرجاء ساطعة ... أم أنه البـدر يجلو حـالك الظلم
هل أنت ليلٌ لرواد الهـدى سكن ... فـيـه أم الفـجـر أم نبع لكل ظمي
أم أنت نور لمن حـفّت به شـبـهٌ ... من العـقـائد والأفكار والنظم
هل أنت يسرٌ لمن ضاق الزمان به ... أم أنت مأوى لأهل الفقر والعدم
هل أنت سور على التوحيد يحفظه ... أم أنت ليث على بوابة القـيم
أعـزك العلم أم أن العلوم بكم ... نالت أعـز الأمـاني من بني الأمم
هل العبارات تحلو فيك أم حليت ... بك العـبـارات بين الرسم والنغم
هل ما روينا وما يروى لنا صور ... من الحـقـائق أم ضـرب من الحلم
نعم فكل معـاني الفـضل مـاثلةٌ ... فيكم وكل سمات النبل والشيم

آمل أن يجد رواد العلم ، وحملة المعرفة ، وأحباب الشريعة في هذه الورقات ، ما يسر الخاطر ، ويبهج القلب ، ويمتع الفؤاد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د / ناصر بن مسفر الزهراني

مكة المكرمة
في ١٤٢١/٩/٨ هـ

هـذا الكتاب

عنوان هذا البحث كما أراده الإخوة في جامعة الملك خالد وفقهم الله هو : «منهج سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في التعامل والتعاون مع ولاة الأمر والعاملين للإسلام وسعيه في توحيد جهودهم» .

وقد أُلقي كمشاركة مني في ندوة (سماحة الشيخ ابن باز) وكان بحثاً مصغراً ، فلما رأيت أهمية الموضوع ، وجدارة الكتابة فيه ، وسَّعت دائرته ، وطورت فكرته ؛ آملاً من المولى جل وعلا أن أكون قد وفقت للمراد ، ووصلت للمنى .

وهو عنوان عظيم ، ومطلب جسيم ، وهو في حقيقته أربعة موضوعات في عنوان واحد ، ولكن حرصاً على عدم الإطالة فقد حاولت جاهداً أن أقترب من المفهوم العام لهذا العنوان ، وأن أركز على النقاط البارزة ، والمعالم الهامة فيه ، وقد جاء البحث على ثلاثة أقسام رئيسية :

أولاً : منهج الشيخ في التعامل والتعاون مع ولاة الأمر .
ثانياً : منهج الشيخ في التعامل والتعاون مع العاملين للإسلام .
ثالثاً : جهود الشيخ في جمع كلمتهم .

وتجدر الإشارة هنا أنه لا ينبغي أن يكون هناك فرق بين الولاة والعاملين للإسلام ، خصوصاً في هذه البلاد ، فإن الأصل في ولاتها أنهم عاملون للإسلام ، وحاملون للوائه ، ومحبون لشريعته ، ولكن المراد من هذا التقسيم هو في المقام الأول الناحية التخصيصة ، فلا شك أن الدولة المسلمة يفترض فيها بجميع ولاتها ودعاتها ، وفقهائها ، وأمرائها ، ووجهائها ، وجميع فئات أبنائها أنهم عاملون للإسلام ، باذلون للشريعة ،

حاملون للأمانة ، صادقون للديانة ، ولكن طبيعة الملل والنحل ، والأمم والدول ؛ أن يكون هناك تخصصات وأولويات ، ومسئوليات ، وأمانات ، وكل يعمل في ميدانه ، ويصدق في تخصصه ، ويجتهد فيما يناط به ، لتكون ثمرة الجهود جميعاً خدمة للإسلام ، وصلاحاً للأمة ، وفلاحاً للرعية ، فكما أن واجب حملة العلم وحفاظ الوحي ، وفقهاء الشريعة ، بذل العلم ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، فإن واجب ولاة الأمر تيسير طرقهم ، والشد من أزرهم ، والذب عن حياضهم ، والأخذ بكلامهم ، والاستضاءة بنورهم ، ومتى حدث هذا التكامل ، وعذب ذلك التعامل ، وصدق هذا التعاون ، فهو الفوز والفلاح ، والبشر والنجاح ، والأمن والصلاح ، ومتى ما تنافرت الجهود ، وأقيمت السدود ، واندثرت روابط التواصل ، وانقطعت حبال التكامل ، ودبت عوامل الخلل ، وفشت روح القلق ، فهو الهلاك والضياع ، والفتنة والصراع ، والحرقة والالتياع .

ومما يجب تسجيله هنا بكل ثقة واقتدار ، وعز وافتخار ، أنه مع ذكرنا لعدد من السلبيات ، وشيء من المخالفات من بعض الناس في التعامل والتعاون ، فإن دعاة هذا البلد وولاته بينهم من التعاون والتآزر ، والمحبة والتواؤم ، والألفة والتآخي ، ما لا نظير له في أي بلد على وجه الأرض في هذا الزمان ، وأن الروح السائدة هي روح التكامل والتواصل ، والتعاون والتعامل ، وذلك بفضل توفيق الله تعالى ثم بفضل الخطا الثابتة ، والدعوة الصادقة ، والطريقة الواثقة ، التي بثها في الناس عموماً وفي الولاة والدعاة خصوصاً أئمةُ الدعوة السلفية ، وأساطين الملة الحنيفية الذين كان ابن باز علماً من أعلامهم ، وبطلاً من أفذاذهم ، وفقيهاً من فقهائهم ، فلله الحمد والمنة .

ولا يعني ذلك أنه الكمال المقصود ، والأمل المنشود ، فالخلل والزلل من طبيعة البشر ، ولكن العقل والحكمة والبصيرة تدعو إلى شكر الحسنات وتعريفها ، والسعي في تلافي السلبيات وتخفيفها .

ولقد كان الشيخ في غاية الحكمة ، وقمة البصيرة ، ونهاية المعرفة ، وروعة التفقه، حين عرف هذه المسائل ، وأدرك تلك الفضائل ، فقاد سفينة العلم ، وباخرة الدعوة ، في يقين وثبات ، وصبر وأناة ، فبلغ في التوفيق أقصى الدرجات . فهيا بنا نمخر عباب ذاك البحر الخضم ننهل من كنوزه ، ونجمع من لآلئه ، ونقتني من دره وأصدافه ، وبسم الله مجريها ومرساها .